

# مِنْ مُحَمَّدٍ وَالْيَهُودِ إِلَى إِسْرَائِيلَ وَالْمُسْلِمِينَ هل من رؤية عادلة؟

بقلم الكاتب الفلسطينيّ

حسين ديبان

From Muhammad and the Jews to Israel and the Muslims,  
Is there a fair Vision?

By Palestinian "Hussein Diban"  
August 23, 2006  
(Arabic)

لم أكن أرغب أبداً الخوضَ في مثل تلك المقارنة، وهي بين ما يحدثُ هذه الأيام في منطقة الشرق الأوسط، نتيجة الأفعال الحمقاء والإجرامية لمجموعتي حزب الله **Hezbollah** وحركة حماس **Hamas** الإرهابيين، وما أدتُ إليه تلك الأفعال من ردّ فعلٍ إسرائيليّ، سيبقى مُصنّفاً في إطار ردّ الفعل والدفاع عن النفس. طالما كانت الأهداف المُعلنة للردّ الإسرائيليّ لا تتجاوزُ القضاءَ على أدوات الإرهاب ومُؤسّساته ومن يقفُ وراءه، وبينَ ما حدثَ في غابر الزمن الإسلاميّ أيام النبيّ المُلهم، والزّعيم المُؤسس لكلّ أنواع الإرهاب وفنونه وأصوله، حين قضى على رجال اليهود وبقية ذكورهم وسبى نساءهم ونهب أموالهم، بعد أن زعم أن اليهود قد خرقوا العهودَ وخانوا الوعودَ واعتدوا على حرّماتٍ لهم.

سأفترضُ هنا وللمرّة الأولى أن يكونَ محمدٌ أو من روى عنه، صادقاً في مزاعمه تلك. وعلى أساس هذا الافتراض سأبني مقارنتي هذه. وحيث أن تلك الوقائع التي حدثت أيام محمد **Muhammad** وانتهت إلى ذبح قبيلة بأكملها على الطريقة الإسلامية وتشريد كامل لبقية قبائل اليهود. ربّما هي الحدثُ الأكثرُ إغراءً لقياسه مع ما يحدثُ حالياً في منطقة الشرق الأوسط، وتحديدًا بعد فعلة حسن نصرالله **Hasan Nasrallah** في لبنان **Lebanon**، وأفعال حركة حماس في غزة **Gaza** وما جرّته على الفلسطينيين من ويلاتٍ ومآسي، وما جلبته للبنان واللبنانيين ومُسلميه الشيعة **Al-Shia**. على وجه الخصوص من ردّ فعلٍ إسرائيليّ "يهودي" من إسرائيل **Israel** لن يصلَ مهما بلغَ من عنفٍ إلى نقطة من بحر الدماء التي أسالها محمد الإسلاميّ، أو بالأحرى زعيمُ المُسلمين ومُؤسس ديانتهم، بحقّ جيرانه و "مُجيريه" اليهود.

إنّ ما دفعني للكتابة هو ما كتبه رجلُ الدين السعوديّ والداعية الإسلاميّ المعروف **عبد المحسن العبيكان** في مقال له نشرَ في **جريدة الشرق الأوسط** اللندنيّة بعنوان "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" وأعيد نشره في صحيفة **إيلاف Elaph** الإلكترونيّة بتاريخ السابع والعشرين من الشهر الماضي.. وهو مقالٌ تتضحُ سطوره بالكثير من السّموم الإرهابيّة المُستندة إلى مبدأ النقيّة الإسلاميّ رغم دعوته الصريحة والواضحة للصلح مع اليهود **The Jew**.

و**عبد المحسن العبيكان** في دعوته العرب والمُسلمين **[Muslims]** إلى عقد الصلح مع اليهود لا ينطلقُ من التزام إنسانيّ يفرضُ على المتحاربين والمتخاصمين الاحتكامَ إلى التفاوض ولغة الحوار، وبديلاً عن العنف والقتال وإراقة الدماء، وصولاً إلى تحقيق السلام "الشامل والدائم" والتعايش المشترك وغسل القلوب من الأحقاد والضغائن. وإنّما يبحثُ عن صلح مؤقت فرضةً

اختلالاً كاملاً بموازين القوى لصالح إسرائيل واليهود. وسيكون من المحتوم "شرعاً" [Sharia] الانقلاب على هذا الصلح حين تتبدل موازين القوى لصالح القوم "المسلمين"!

وهذا يؤكدُهُ طرحُ المنظمة الإرهابية الفلسطينية حركة حماس Hamas حين يُنادي قادتها بأن لا مانع لديهم من عقد هدنة مع إسرائيل لمدة ثلاثين أو أربعين عاماً! والحقيقة أن فترة الثلاثين أو الأربعين عاماً قد تقصر أو تطول. وهي لا تعني إلا الوقت اللازم للتغيير في موازين القوى لصالحهم!. وحينها لن تكون نهاية اليهود اليوم، بأفضل من نهاية أجدادهم بني قريظة والنضير وقيفانق ويهود خيبر على يد نبي الإسلام. وربما ستكون أكثر فظاعة وإجراماً نظراً لطبيعة الأسلحة الفتاكة في عصرنا هذا أولاً. وبرهاناً يزايدُ به المسلمون اليوم على أجدادهم من جهة أخرى. إنها حالة مرضية مزمينة ليس للمسلمين فكاكاً منها. إلا بالفكك والخلص من النصوص التي رعت وشرعت وحضت على العمل وفق هذه المنظومة الفكرية الإجرامية والأرهابية.

يتجنبُ عبد المحسن العبيكان الخوضَ فيما حدث من جانب محمد والمسلمين ضد قبائل اليهود. مع أن تلك الأحداث هي الأصلح للقياس والمقارنة. مع ما يحدث حالياً في لبنان أو في الأراضي الفلسطينية (خاصة أن طرفي معادلة الأمم هم ذاتهم طرفي معادلة اليوم ولكن مع اختلاف الحدث ومبرراته ونتائجه) كما سنرى أكثر من الواقعة التي ذكرها عبد المحسن العبيكان في مقاله وهي توقيع صلح الحديبية مع "المشركين" رغم أن نتيجة ما حدث لا تختلف في حالة محمد واليهود عن حالة محمد والمُشركين. ولم يكن الدخول شبه السلمي لمكة بعد ذلك إلا نتيجة المؤثرات القبليّة والعصبيّة التي يبرزُ تحت تأثيرها البدو ومحمد وأحد من هؤلاء. حيث أغلب سكانها حينذاك من أبناء عمومته. وأيضاً بسبب القوة الضاربة التي أصبح يملكها محمد. ففي كلا الحالتين، وبمجرد امتلاك محمد ورهطه لأدوات البطش والقوة، أغار عليهم ناقضاً معاهداته معهم. فقتل من قتل بوحشية رهيبية، وشرّد من شرّد، وسبى النساء، ونهب كل ما يمكن نهبه!.

يقولُ عبد المحسن العبيكان (إن اللجوء إلى الصلح مع اليهود أو اللجوء للمهادنة أو اللجوء إلى الحلول السلمية والمعالجة السياسية، هي الأمر المطلوب في هذا الزمن باعتبار فقدان شرط القدرة، إلى أن يكون المسلمون مهينين لاسترداد حقوقهم، ويمتلكون شرط القدرة، وتطبيق ما فعله "النبي" في سنته القولية والفعلية).. لا يخجل العبيكان من قول هذا صراحة! تحت حجة استرداد الحقوق، وكان على العبيكان حتى تكتمل صراحته، ولا يفصح مبداه التقوي الذي يستند إليه هو وغيره من رجال الدين المسلمين، أن يذكر لنا وبالتفصيل ماذا فعل محمد ورهطه بالمشركين وباليهود بعد أن أصبحوا أقوياء مقتدرين. إن عبارة "فقدان شرط القدرة" وعبارة "مهينين لاستعادة حقوقهم" هما من الخطورة بمكان. فيما لو اقتفى المسلمون خطي محمد في هذا المجال. وهو ما يؤكد عليه العبيكان عندما يُطالب بتطبيق ما فعله محمد في سنته القولية والفعلية.

إذا كان محمد بلا حقوق حيث هو البادئ للخصام، والمبتدع لخرافات وشعوذات جديدة أراد فرضها على الآخرين. وفعل ما فعل من جرائم يندى لها كل جبين حرّ. فماذا سيفعل أحفاد محمد اليوم؟! إن هم امتلكوا القوة إلى جانب بعض من الحق. بديهي القول في هذه الحالة إنهم سيتفوقون على جدّهم النبي في إبداعاتهم الإجرامية ضد الآخرين.

## كيف عامل محمد اليهود:

دَخَلَ مُحَمَّدٌ ضَيْفًا عَلَى يَثْرِبَ بِمَعِيَّةِ أَخْوَالِهِ مِنَ الْخَزْرَجِ ، بَعْدَ أَكْثَرِ مِنْ إِثْنَيْ عَشَرَ عَامًا عَلَى بَدْءِ دَعْوَتِهِ انْطِلاقًا مِنْ مَكَّةَ . وَلَمْ يَسْتَطِعْ خِلالَ كُلِّ تِلْكَ السَّنَوَاتِ سِوَى ضَمِّ بَعْضِ عَشْرَاتِ الْيَهُودِ إِلَى دِينِهِ الْجَدِيدِ . إِلَّا أَنْ غَزَا بَدْرَ وَمَا رَافَقَهَا مِنْ دَهَاءِ وَخَدِيعَةَ وَمَكْرَ مِنْ جَانِبِ مُحَمَّدٍ ، وَغُرُورَ كَبِيرٍ مِنْ جَانِبِ قُرَيْشٍ وَمَا أَدَّتْ إِلَيْهِ تِلْكَ الْغَزْوَةُ مِنْ انْتِصَارٍ لِمُحَمَّدٍ وَنَفْرِهِ ، قَلْبَتْ كُلُّ الْأُمُورِ وَكشفتِ الْمَسْتُورَ وَأَوْضَحَتْ حَقِيقَةَ الدَّعْوَى الْمُحَمَّدِيَّةِ الدَّمَوِيَّةِ . بَعْدَ أَنْ تَمَكَّنَ مِنْ قَتْلِ كِبَارِ قُرَيْشٍ وَنَهَبِ أَمْوَالِهِمْ وَغَنَمَ كَثِيرًا مِنْ أَسْلِحَتِهِمْ .

بدأ محمد سياسته الدموية تلك بالإغارة على قبائل اليهود، والتي كان لها دور في إكرام محمد عند قدومه ضعيفا ومهانًا. فكانت الغزوة الأولى على بني قينقاع، تلتها غزوة أخرى على بني النضير [الشبكة الإسلامية] ، ومن ثم أغار على بني قريضة، وختم غزواته ضد قبائل اليهود بالهجوم والإغارة على يهود خيبر [Khaiber]. من المفيد أن نسأل أين هؤلاء اليهود اليوم؟! وهم أصحاب أرض وحقوق. ما دامت الشعوب الإسلامية تتحدث عن حق مقدس لنا نحن الفلسطينيين في العودة إلى ديارنا أو تقديم التعويضات لنا، وقلة نادرة هي التي تقبل بمبدأ التعويضات. فما أسباب ومبررات تلك الغزوات الإجرامية؟ وهل بالإمكان مقارنتها بما يحدث اليوم من حيث المبررات والأسباب وعدد الضحايا؟! وطريقة الذبح على الطريقة الإسلامية من الوريد إلى الوريد التي مارسها محمد ضد تلك القبائل وخاصة مع بني قريضة.

في غزوة محمد الأولى ضد بني القينقاع [السيرة النبوية] ، لم يجد محمد سبباً أكثر تفاهة وسخفاً من الادعاء بأن بعض اليهود قد أهانوا إحدى نساء العرب، بعد خروجها من أحد محال الصاغة والذي يملكه يهودي. وقد شهد أحد المسلمين تلك الحادثة، فما كان منه إلا أن استل سيفه وقتل الصائغ اليهودي. فهجم عليه نفر من اليهود وقتلوه، "ومثل تلك القصة التبريرية واضحة الضعف والوهن، فالمرأة العربية التي سببت تلك الواقعة الهامة في تاريخ الدولة الإسلامية لا ذكر لاسمها، ولا لقبيلتها، ولا ما إذا كانت مسلمة أم لا. ولا نعرف اسم الصائغ اليهودي الذي هو عربي بدوره، ولا من هؤلاء الذين تلاحبوا بها. بل والأخطر لا نعلم اسم ذلك المسلم الذي استشهد وهو يدافع عن المرأة ولا إلى أي قبيلة ينتمي. ولم تزعم قبيلة أنه قد حدث مثل ذلك لأحد من رجالها، وهو الأمر الذي ما ألفناه مع المنفق عليه بكتب الأخبار والسير من تدقيق وتوثيق! والقصة بكاملها - في رأينا - مختلفة" (من كتاب الإسلاميات - قراءة اجتماعية سياسية للسيرة النبوية للمفكر المصري سيد القمني) ، ودون أن ينتبه هذا المسلم المدافع عنها (إن صح وجوده) أن بني قينقاع هم أكثر عروبة منه ومن نبيه محمد. ولهم جذور ضاربة في أعماق تاريخ يثرب والجزيرة العربية وأن هذا النبي هو دون غيره من تعدى على شرف نساء العرب، باتيانه بنصوص تشرع القتل ونهب الأموال، والعبودية واغتصاب سبايا الحروب الإسلامية ادعى أنها تأتيه من الله عبر مبعوث للوحي اسمه جبريل. فماذا كانت نتيجة إغارة محمد على بني قينقاع؟

استسلم بنو قينقاع بعد أن حاصرهم محمد لمدة خمسة عشر يوماً، وكاد محمد أن ينحرهم جميعاً وهو ما كان يرغب بفعله، ولكن تدخل الزعيم اليثربي عبدالله بن أبي بن سلول حال دون ذلك، وتم إجلاؤهم عن أرضهم وبيوتهم والسماح لهم بحمل ما تستطيع إيلهم حمله فقط، وغادروا أراضيهم متوجهين إلى جنوب سوريا Syria .

أمّا الغزوة المُحمّدية الثانية ضد قبائل اليهود فكانت ضد بني النضير [الشبكة الإسلامية] ، والسبب هنا غيبياً من عند إله مُحمد!. حيث ادعى أن إلهه أخبره أن القوم يكيدون له، ويريدون قتله أثناء وجوده في ديارهم، للحصول على العون الذي طلبه منهم في المساهمة بدفع دية قتلى قتلهم رجالاً من المُسلمين. "فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج عائداً الى المدينة" والرواية هنا لابن اسحاق. بعد هذه البدعة السماوية، طلب مُحمد من بني النضير الرحيل وترك ديارهم في مهلة أقصاها عشرة أيام وإلا فإنه سيقتل رجالهم ويسبي ذريتهم ويأخذ أموالهم.

رفض اليهود الرحيل، وهو موقفٌ طبيعيٌّ جداً يتخذه كلُّ إنسانٍ يطلبُ منه مُعتدٌ أن يترك أرضه ودياره ويرحل. فحاصره مُحمد عدة ليالٍ ولم يستسلموا. وهو الأمر الذي أغاظ مُحمد، فأمر أتباعه بهدم البيوت التي تقع خارج حصونهم، وقلع أشجارهم وزرعهم. أي نوع من الأنبياء هذا الذي يهدم البيوت ويقطع الأشجار؟! إن هذه الأفعال تهون إذا ما تابعنا الأحداث إلى نهايتها. وبعد حوالي خمسة عشر يوماً من الحصار لم يتمكن بني النضير بعدها من الصمود أكثر من ذلك. استسلم القوم لمُحمد على أن يحقن دمائهم مقابل أن يأخذ أموالهم. فغادر القوم ديارهم وديار أجدادهم متوجّهين إلى أرض فلسطين **Palestine**. بينما فضل قسمٌ منهم الإقامة عند يهود خيبر. في حين أن الأموال والممتلكات أصبحت كلها من نصيب مُحمد، ونعم النبيّ ونعم النبوة!.

إنّ أمّ الغزوات المُحمّدية، وحفلات الرعب الدموية، وذبح البشر من الرجال والغلمان "وكل من نبت شعر عانته من الذكور" من الوريد الى الوريد، على مرأى من أعين زوجاتهم وأمهاتهم وأطفالهم، كان ذلك كله في مذبحه بني قريضة! وعلى الرغم من بطلان ادعاء مُحمد بأن قريضة قد خرقت عهدها معه، وهو ما يؤكد الواقع المرّ الذي نعيشه هذه الأيام.. فلو أن قريضة قد نقضت عهدها مع مُحمد وسمحت للقرشيين وبقية القبائل الدخول من خلال حصنها الى المدينة خلال معركة الخندق ، لكان انتهى أمرُ مُحمد ودعوته الدموية منذ ذلك اليوم، ولم يستمر تأثيره التجهيليّ والدمويّ على أتباعه إلى يومنا هذا. حيث يواجه العالم اليوم هذا الإرهاب الكوني المتمثل بما زرعه مُحمد من أفكار تدميرية وإجرامية واستتصاليّة توارثتها أجيالٌ بدويّة تملك تربة خصبة جداً واستعداداً فطرياً للاحتفال بالدم والرقص على آلام وأوجاع وجروح الآخرين.

على الرغم من بطلان ادعاء محمد إلا أنّي وكما ذكرتُ في البداية سأفترض صدقَ هذا الادعاء، فهل ما ادعاه مُحمد يُبررُ ذبح ما يقاربُ الثمانمائة ذكر كما تدبّح الخراف، هم جميعٌ من هو بالغ من ذكور قريضة؟! بدون أن يرف له جفن رغم توصلات النساء وبكاء الأطفال. إنّ الأحرى بنا اليوم هو إعادة الاعتبار لأرواح أولئك الذين قتلهم مُحمد ذبحاً من خلال الاعتذار لمن يُمثلهم هذه الأيام من اليهود العرب وتخليد ذكراهم، ومُحاسبة من أقدم على ارتكاب هذه الجريمة في قبره وليس التشجيع على قتل مزيدٍ من أبناء "القردة والخنازير" وهو التعبير الذي نادى به مُحمد أبناء قريضة قبل استسلامهم وقتلهم. ويلطو لأحفاد مُحمد وتابعيه اليوم ترديداً هذا التعبير في قيامهم وقعودهم! إن استمرارنا في الاعتقاد بتلك الأفكار التدميرية والإرهابية لن يجلب لنا وغيرنا سوى الدمار. وإن كنا غير قادرين على لجم ذواتنا فعلى العالم أن يتصرف حيال ذلك قبل فوات الأوان. أو بالأحرى قبل امتلاك المُسلمين لشرط القدرة مثلما يأمل ويرجو عبد المحسن العبيكان .

لم يكن حال **يهود خيبر** مع محمد أفضل من غيرهم. فقد غزاهم محمد وقتل من قتل بلا أدنى رحمة طمعا في الأموال والنساء حيث آلت كنوز اليهود في خيبر إليه.. كما أنه خص نفسه بـ **[صفية بنت حيي]** بن أخطب الذي قتل زوجها في هذه الغزوة. بعد أن كان قد قتل أباه في مجازره السابقة ضد اليهود. ومن بقي على قيد الحياة من يهود خيبر، أصبح أجيراً في أرضه يعمل ويشقى لصالح محمد وقطعانه.

## اسرائيل والمسلمون اليوم:

من المعلوم أنّ إسرائيل قد انسحبت من جميع الأراضي اللبنانية قبل أكثر من ست سنوات. وقد أخرج انسحابها هذا مجموعة **حسن نصرالله Hasan Nasrallah** الإرهابية ومن يقف وراءها من البعثيين في **دمشق Damascus** وملاي **Iran** فكان أن تم اختراع قصة مزارع شبع **Shebaa farms** والدعوة لاستمرار القتال ضد إسرائيل حتى تتسحب إسرائيل من هذه المزارع. وهذه المزارع هي لبنانية حقاً ولكن سوريا **Syria** سيطرت عليها. ولكن اعتبارها لبنانية من جديد يتطلب اعترافاً سورياً موثقاً بلبنانيتها. ومُسمار جحا هذا الذي اخترعه النظام الديكتاتورى السوري ومعه آياتُ إله المسلمين في إيران، وباستخدام أداتهم الإرهابية وهي مجموعة **حسن نصرالله** الإرهابية لتوتير الأجواء في المنطقة وتعطيل عملية السلام برمتها، بالإعتماد على مجموعة إرهابية أخرى في الأراضي الفلسطينية هي **حركة حماس Hamas**.

هذه الأفعال كان يُؤمل منها إبعاد الأعين الدولية عن مشروع إيران النووي، وكضمانة لبقاء النظام الديكتاتورى البعثي السوري **Baath Party** جاثماً على صدور أبناء الشعب السوري. وحيث أن ذلك المسمار (المزارع) أصبح حجة **حسن نصرالله** وأتباعه لتمسكهم بسلاحهم ورفضهم إفساح المجال للدولة اللبنانية لبيسط سيادتها على كامل الأراضي اللبنانية. وما جرّ على اللبنانيين **Lebanese** الكثير من الدمار نتيجة إصرار مجموعة **حسن نصرالله** على ارتكاب خروقاتها الإرهابية ضد الآخرين. كان آخرها الدخول إلى أراض غير مُنتازع عليها نهائياً، وقتل عدة جنود إسرائيليين وخطف جنديين. وهو ما كان مُبرراً أكثر من كافٍ لتردّ تلك الدولة على هذا الاعتداء، ما دامت تملك من وسائل الردع والردّ ما يكفي ويزيد. ومع توافر مُبررٍ مُعترف به من قِبَل مُرتكبه بكلّ صراحةٍ ووضوح وزهو. بعكس كل المُبررات الغيبية تارة والكاذبة تارة أخرى، التي ادّعاها محمد للقضاء على اليهود. فهل كان ردُّ الفعل الإسرائيلي مع توافر المُبرر الواضح والمعروف والمعلن موازياً لِمَا اقترفه محمد من جرائم بحقّ اليهود **The Jew**!؟

اعتادت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، وقبل البدء بأي عملية عسكرية، بأن تلقي مناشيرَ تتضمن تحذيراتٍ للسكان المدنيين بوجود الحذر وإخلاء المناطق التي ستستهدفها العمليات العسكرية. وكثيراً من الأحيان كانت توجه تلك التحذيرات عبر وسائل إعلامها، وأحياناً كانت توجه تلك التحذيرات عبر مكبرات الصوت في حالة العمليات العسكرية البرية قبل دخولها على المناطق المأهولة. كانت هذه التحذيرات على الدوام عاملاً رئيسياً في خفض عدد الضحايا من المدنيين. ومن المفيد القول هنا أيضاً أن كل "المجازر الجماعية" بحقّ المدنيين الأبرياء، التي ارتكبتها الآلة العسكرية الإسرائيلية خلال كل سنوات هذا النزاع، لا يتجاوزُ أعداداً ضحاياها عدد

ضحايا مجزرة صغيرة لحاكم عربي مسلم ارتكبها ضد أبناء شعبه من الأبرياء ودون أن نسمع مثل هذه الأصوات الاحتجاجية والاستنكارية التي نسمعها هذه الأيام من الشارع العربي وفضائياته الإرهابية.

إن قتل أي مدني بريء فعلٌ مُدانٌ ومستنكرٌ، سواء أكان الضحية يهودياً أو مسلماً أو غير ذلك. والقائلُ يجبُ أن يُحاسبَ أياً كان. وهذا الموقفُ العربيُّ، يذكرنا بحالة الاغتصاب التي اقترفها جنديٌّ أمريكيٌّ في العراق قبل فترة، وأدت إلى حالة هيجان في الشارع العربي والإسلامي برمته. في حين صمّتَ هذا الشارعُ ذاته صمّتَ الأموات عن كلِّ حالات الاغتصاب الجماعية التي ارتكبتها (وما زالت كلُّ النظم العربية والإسلامية) بحقِّ الآلاف من نساء وفتيات العرب والمسلمين. بل وشارك في بعضها وصفق لها، مع أن العسكري الأمريكي سيلقى حساباً جرّاء فعلته، في حين لا رقيب ولا حسيب تجاه أفعال الحكومات العربية والإسلامية ورجالها!.

اسمحو لي هنا أن أذكركم بحادثة **ميدان العتبة** الشهيرة التي حدثت في القاهرة **Cairo** مدينة المعز الفاطمي وبلد الأزهر **Alazhar** قبل خمسة عشر عاماً. حين أقدم ثلاثة من الشبان المسلمين بالتحرش بفتاة مع والدتها في أحد باصات النقل المحلية. ولم يكن أمام الأم إلا خيار النزول في أول محطة يتوقف فيها الباص، وكانت تلك المحطة هي ميدان العتبة أحد أكثر الميادين ازدحاماً في القاهرة، فتبعها الشبانُ وأمسكوا بالفتاة ومزقوا ثيابها وقام أحدهم بفض بكارتها بإصبعه!.

لم يكتفِ الجمهورُ المسلمُ بالتفرُّج وعدم التدخل لتخليص الفتاة من بين أنياب أولئك الوحوش، بل أخذتهم "النخوة والغيرة الإسلامية" في سبيل التلذذ بالضحية إلى محاولة إبعاد والدتها عنها!. التي لم تجد وسيلة لتستر ما هو مكشوفٌ من جسد ابنتها إلا أن تلقي بجسدها هي فوق ابنتها. وعلينا أن نتذكرَ دوماً بهذا الخصوص حالاتِ خَطْفِ واغتصابِ فتياتِ الأقباطِ المتكررة بقصد أسلمتهن!. من العار على هذا الجمهور والحالة هذه أن يتحدث عن الأخلاق والقيم ويندد بالقتل والجريمة. عليه أن يستأصل ما بداخله من أفكار ونوازع إجرامية، حتى يصبح لحديثه حول إدانة الجريمة معنى وقيمة.

### بالعودة إلى موضوعنا نجدُ ما يلي:

**أولاً:** إنَّ المسلمين وبأمرٍ رسميٍّ من نبيِّهم، وبدون أي مُبرِّرٍ، اللهم سوى شعوات محمد ورغبته الجّامحة في القضاء على اليهود والتخلص منهم، قاموا بإبادة قبيلة بأكملها. وسبي ذراريها، واغتصاب نساؤها، ونهب أموالها. إضافة إلى تشريد كامل لبقية قبائل اليهود. وواقع **المملكة العربية السعودية** اليوم يشهد على ذلك. حيث لا يوجدُ يهوديٍّ واحدٌ، وكذلك لا وجودٌ للمسيحيين **Christianity** بل ويُحرّمُ عليهما وعلى غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى الدخول إلى منطقتي مكة والمدينة، بسبب ما تدّعيه نصوص الإسلام المُحمّدية، من "نجاسة" من هو غير مسلم!. بينما إسرائيل اليوم لم تفعل ما فعله محمد وصحبه. وهي تملك من القوة ووسائلها ما لا يستطيع أحد إنكاره. ولكنّها تأبى على نفسها فعل ما يشين من اغتصاب النساء وتجبير لأبنائها.

قد يتحدث البعض عن اختلاف الظروف وعن تأثير العامل التاريخي الزمني بين

عصرنا الذي نعيش فيه وذلك العصر حيث محمد وصحبه. أقول لهؤلاء إن ذبح الرهينة الأمريكي في العراق والآخر في السعودية، ونحر الكثير من أبناء الطائفة الشيعية في العراق أيضاً، وذبح مئات الآلاف في الجزائر ومصر وبعض دول الخليج وأفغانستان وبالي الأندونيسية وجنوب تايلند والهند والشيشان وغيرها من دول آسيا الوسطى، وتفجيرات نيويورك وواشنطن ولندن ومدريد، والمحاولة الإجرامية الأخيرة التي تم افسالها لتفجير الطائرات المدنية عبر الأطلسي، يدل على أن المسلمين يعيشون اليوم بروح أواخر القرن السادس الميلادي. أي روح وعقلية ودموية نبيهم، ولن يترددوا في إبادة كل البشر المختلفين دينياً فيما لو امتلكوا شرط القدرة.

**ثانياً:** إن المسلمين من الفلسطينيين ومن خلفهم كل العالم الإسلامي ما زالوا يرفضون كل فرصة متاحة لتحقيق السلام في المنطقة عبر عملية سلام تقضي إلى إقامة دولتين فلسطينية وإسرائيلية. ولقد رفضوا قرار التقسيم الدولي رقم ١٨١، ورفضوا بعد ذلك قرار مجلس الأمن ٢٤٢، ورفضوا السير في مفاوضات كامب ديفيد Camp David التي أدت إلى تحقيق السلام المصري الإسرائيلي وانسحاب إسرائيل من جيب طابا (Egypt) عبر التحكيم الدولي.

ولقد رفضوا أخيراً السير في طريق أوسلو Oslo إلى نهايته بعد أن التزم الإسرائيليون ببنود اتفاق أوسلو، وانسحبوا من قطاع غزة Gaza Strip ومدينة أريحا Jericho، ومن ثم انسحبوا من مدن الضفة الغربية بما فيها الخليل، وكانت إسرائيل على وشك الانسحاب من أرياف الضفة الغربية حسب البند جيم من اتفاق Oslo، إلا أن سلسلة العمليات الإرهابية التي شنتها حركة حماس في ربيع عام ١٩٩٦ أوقفت كل شيء وأعدت الانتفاضة الثانية الأمور إلى المربع الأول.

قد يكون هناك طرف فلسطيني عاقل يرغب في تحقيق السلام وإكمال المشوار إلى نهايته، لكنه للأسف ممنوع من ذلك عربياً وإسلامياً.. وقبل ذلك هو مرفوض من كثيرين من الفلسطينيين أنفسهم، الذين لا يعتقدون بتحقيق السلام وإقامة دولة فلسطينية. بسبب النصوص التي يؤمنون بها وتمنع أي نوع من أنواع السلام والتصالح مع الآخر اليهودي أو المسيحي. لقد بت أخشى أنه لو قررت الحكومة الإسرائيلية تفكيك الدولة الإسرائيلية وتقديم كل الأرض للفلسطينيين لقيموا دولة عليها، فإن العرب والمسلمين لن يقبلوا ذلك حتى لو قبل الفلسطينيون به.

وسيمارس العرب والمسلمون ضغوطاً شديدة على الفلسطينيين كي يرفضوا العرض الإسرائيلي السابق أن تخيلناه. ذلك لأن أوانه لم يأت بعد، كما أن السيناريو المحمدي الإسلامي لا ينص على ذلك. وإنما ينص على أن اليهودي يجب أن يقتل قبيل يوم القيامة الإسلامية حيث تنادي الأشجار والأحجار على المسلمين ليقتلوا اليهود المختبئين ورائها!.

**ثالثاً:** لقد عاش من تبقى من الفلسطينيين في دولة إسرائيل حياة هادئة. بمستوى معيشي يحلم أفضل المواطنين العرب حالياً بالوصول إلى عشره. إن هؤلاء الفلسطينيين تلقوا مستوى تعليمياً عالياً جداً وشاركوا بفعالية في الأنشطة السياسية والحزبية، وشكلوا مجموعة من الأحزاب. ووصل عدد العرب في الكنيست الإسرائيلي الأخير إلى أكثر من خمسة عشر عضواً.

وباستثناء الحادث الوحيد الذي جرى يوم الثلاثون من آذار عام ١٩٧٦ لم تسجّل أيّ حوادث تعكّر صفو العلاقة بين اليهود والعرب. بينما كان نصيبُ يهود الدُول العربيّة والإسلاميّة، القتل والتشريد ونهب الأموال. ولا لومَ عليهم إن توجّهوا بعد تشريدهم إلى دولة إسرائيل ليقيموا هناك.

**رابعاً:** بانسحاب إسرائيل من سيناء Sinai، ولاحقاً من غزة Gaza Strip ومدن الضفة الغربيّة وجنوب لبنان Lebanon، تكون إسرائيل قد قبرت ماضيها وأحلامها التوراتيّة، حيث الحلم بالعودة إلى بناء مملكة إسرائيل من جديد. والتي امتدت حدودها الجغرافيّة من نهر النيل Nile غرباً إلى نهر الفرات Euphrates شرقاً. ويصبح بذلك حديث المسلمین عن الأطماع الإسرائيليّة بلا معنى. أمّا العربُ والمسلمون فلا زالوا يحلمون ويعملون من أجل العودة إلى حدود دولة الخلافة الإسلاميّة الممتدة من أسبانيا Spain إلى الهند India، وما زال كثيرون من المتقنين في هذه الأمة يتباكون على "المُلك المُضاع" في أسبانيا. لا بل إن كثيرين من المسلمین واستناداً إلى نصوص الإسلام يتطلعون إلى ذلك اليوم الذي يصبح فيه العالم الأرضي كله إسلامياً. ومنهم من تتجاوزُ أحلامهم ذلك حتى تصل إلى السّماء بادعاء بعضهم أن أحد رُؤاد الفضاء قد سمع صوت الأذان الإسلاميّ على سطح القمر. من الجنون أن يكون أشخاصٌ ومُنظماتٌ في عالمنا اليوم ما زالوا يريدون رفع بيارقهم الإسلاميّة فوق القصر الملكيّ البريطانيّ Buckingham Palace، ومبنى الكرملين الروسيّ Moscow Kremlin، والبيت الأبيض الأمريكيّ White House.

إنّ فرقا شاسعا وكبيراً جداً بين أن يُقتل الأبرياء ذبحاً وعن سابق إصرار وتصميم، كما فعل مُحمد وما زال يفعلُ المسلمون في عصرنا هذا، وبين مقتل مدنيّين في أهوال الحرب. خصوصا وأن تحذيرات كثيرة وجّهت للمدنيّين كي يُغادروا المناطق المستهدفة بالعمليّات. هذه حقيقة علينا أن ندركها جيداً. كما يجب علينا أيضاً أن نملك من الجرأة ما يكفي للبوح بها. حتى وإن كانت لصالح الخصم. هذا الخصم هو مجموعة من البشر أولاً وأخيراً ولهم من الصّفات الحميدة الكثير الذي نفتقده نحن. ولهم فضلٌ في كافة المجالات العلميّة والطبيّة والتقنيّة على عُموم البشريّة، لا ينكره إلا ناكراً الفضل والجميل. كما أنكر مُحمد وصحبه فضلَ قبائل اليهود في يثرب.

في هذا المجال أتذكّر ما كان يقوله لي جدّي دائماً، وهو أن جيراننا اليهود في بلدة "عين غيف" اليهوديّة على الشاطئ الشرقيّ لبحيرة طبريا، قد توسلوا إلى جدّي وأقاربي الآخرين بأن لا يُغادروا أرضهم، وإن كانوا خائفين فليأتوا ويعيشوا معهم في بيوتهم. ولكنهم رفضوا بتشجيع عربيّ كامل. وعلى أمل أن خروجهم من ديارهم لن يطول أكثر من أيّام معدودات سيعودوا بعدها إلى بيوتهم هذا بعد أن تتمكن الجيوش العربيّة من سحق إسرائيل واليهود. وطبعا ليس هناك سببٌ في الدنيا يُجبرُ جدّي على قول ما قاله غير الحقيقة كما رآها ونقلها ببساطة وعفويّة متناهية.

كما أذكّر أيضاً كيف أن والدتي وعموم نساء ورجال حيّنا في دمشق لا يعجبهم إلا أن يذهبوا ويأخذوا أطفالهم إذا ما أصاب أحدُهم مرضٌ إلى الدكتور اليهوديّ في "شارع الأمين" أحد أحياء دمشق، ذلك لأنّ هذا الدكتور اليهوديّ أكثر خبرة ودراية بعمله الطبيّ وأرخص أجراً من



الأطباء المسلمين في تلك المنطقة. كانت والدتي ووالدي في كل مرة لدى عودتهما من عيادة الدكتور اليهودي يعتريهما العجبُ والدهشة بخصوص "شطارته" وصدقه وأمانته وكذلك للأجرة المُخفضة التي يأخذها هذا الدكتور منهم وهو بنفس الوقت يهودي!. هذه ليست حالُ والدي ووالدتي فقط، ولكنها ثقافة مُحمّدية تفترضُ الآخرين منافقين وكاذبين ولصوص، وهذه الصفات للأسف لا نجدُها إلا في الغالبية العظمى من أبناء أمة محمد الإسلامية.

صفوة القول: إنّ ما فعله العربُ والمسلمون طيلة تاريخهم الإسلامي بحقّ اليهود والمسيحيين، وكلّ شعبٍ استطاع المسلمون الوصولَ إلى أراضيهِ، يُشكل جريمةً تاريخيةً كبرى. تصعُرُ أمامها كلُّ الجرائمُ الأخرى. وستظلُّ وصمة عارٍ كبيرة على جبين هذه الأمة، التي ما زال أبنائها يرقصون ويزغردون لرؤية دماء الأبرياء، ويفرحون لدمار الآخرين، ويهتفون للقتلة والمجرمين قادة عصابات الإرهاب. وما أن ينهضُ العالمُ للدفاع عن نفسه وللحفاظ على مُجزاته حتى يتباكى هؤلاء، مُدعين بأن ثمة حرب "صليبية يهودية" تشنُّ ضدّهم.

وكما قلتُ مراراً أعيدُ القولَ اليومَ، بأن خلاصَ هذه الأمة المُسمّاة "إسلامية" وخلاصَ العالم كذلك، يتوقف على ذلك اليوم الذي يستعيدُ المسلمون فيه إنسانيتهم وأدميتهم. وذلك بعد أن يتخلصوا من النصوص التي أفقدتهم تلك الأدمية، هذا عبرَ الفعل المُستمر والتحريض على مُصادرة إنسانية كلِّ البشر المُختلفين معَهم. وحتى ذلك اليوم ستبقى كلُّ المحاولات لتغيير واقع هذه الأمة عقيماً، إذا كان الحفاظ على تلك النصوص يقيّد مسيرتها نحو منهج المحبّة والسلام مع الجميع مهما اختلفت العقائد والآراء. للأسف ستبقى محاولات فاشلة، على الرغم من صدق وإخلاص الكثير منها، حالها كحال مَنْ ينفخُ في "قربة منقوبة".

حسين ديبان

hdiban69@yahoo.com